

تفريغ لقاء:

تساؤلات قرآنية

مع الشيخ: عبد اللّه العجيري

لم يراجعه الشيخ

لمن لديه أي ملاحظة على التفريغ فليصلنا بها عبر البوت التالي مشكورًا:

بوت تواصل

- السلام عليكم ورحمة الله بركاته، حياك الله شيخنا الشيخ عبد الله، نبدأ معك بأول لقاء في فقرة "مفاهيم قرآنية"، التي هي تتبع لإذاعة آيات، وهي إذاعة تهتم بمسألة القرآن الكريم كتجارب الطلاب على سبيل المثال وتلاواتهم، والمفاهيم القرآنية وهي فقرتنا الآن، وهي بادئة خيروفاتحة خيربك يا شيخ، الله يبارك فيك وينفع وينفع بعلمك، ونبدأ معك بأول الأسئلة:

*السؤال الأول: كثيرمن الشباب عندما يبدؤون ويتجهون إلى العلم الشرعي، أو إلى القراءة عمومًا، يَرِدُهُم هذا السؤال دائمًا، مسألة: "هل أبدأ بقراءة القرآن وحفظه والاهتمام به أم بالكتب المعرفية الفكرية فقط؟"، يعني هل أبدأ بالقرآن فقط وأهتم به، ثم بعد ذلك عندما أُنهي قدرًا منه، أبدأ بالكتب المعرفية، بماذا يُبدأ؟[١]

- الحقيقة تعليقي الأولي على ما يتعلق بهذا السؤال هو: ضرورة الانعتاق عن لعبة الثنائيات -كما يُقال- أو الثلاثيات، أو الرباعيات، أحيانًا عندما يُكافح الإنسان بسؤال (إما- أو) فكأنما هو يُخيربين مسارين لا ثالث لهما، أوبين ثلاثة مسارات لا رابع لها، أوبين أربع مسارات لا خامس لها، وقد يكون من المُستحسن إدراك أن هنالك فرصةً ليجد الإنسان طريقًا ثالثًا، أويشق له طريقًا ثالثًا، فهذا ما يتعلق بالإشكالية الأولى فيما يتعلق بالسؤال، أو إيهامات أنه هو مضطرإنه يدخل في هذا المربع أو ذاك المُربع، طبعًا هنا ملحظ آخرفيما يتعلق بالثنائيات،

---

(١) تعليق المُقدم سيكون مميزًا بهذا اللون للتفريق بينه وبين كلام الشيخ عبد الله العجيري.

وهو ما يُخفف شيئًا ما من حدة هذا السؤال أو إشكاليته، وهو أن الثنائيات على طرفين، يعني في ثنائيات المعادلة الصفرية (إما - أو) أبيض وأسود، وهنالك ثنائيات الأولوية، بمعنى أن لمَّا تُخير الخيار الأول أو الثاني ليس مقصودًا لك إلغاء أحد الطرفين ضرورة، و إنما الكلام حول أولوية أحد الطرفين على الآخر، ولذا تجد أن في القرآن الكريم يُكثر من ذكر هذا النمط من أنماط الثنائيات أحيانًا، يعني ثنائية الدنيا والآخرة، ليس مقصودًا بالضرورة عندما يُنَبِّه الله -سبحانه وتعالى- على اختيار الآخرة على الدنيا، أو الدنيا على الآخرة، ليس المقصود به بالضرورة إلغاء أحد الطرفين لصالح الآخر؛ و إنما الكلام هو حول أولوية أحد الطرفين على الآخر، وبالتالي إذا سِرنا في هذا السياق وهذا الإيحاء مما يتعلق بهذه الثنائية: الكتب الفكرية أو القرآن الكريم؟ فما في شك أن الأولوية تكون لكتاب الله -سبحانه وتعالى- الأولوية تكون لكتاب الله -عزوجل-، وأعتقد أن من يُلاحظ ويُر اقب المعطيات المُتعلقة بالو اقع، أن المأزق الذي يحتاج إلى معالجة شيئًا ما هو ظاهرة ضعف الإقبال الكريم بالمقارنة بالإقبال على الكتب عمومًا، أو الإقبال على الكتب الفكرية خصوصًا في معالجة الشبهات والانحر افات الفكرية، فهذا المعنى عَبَّرْت منه، يعني عنه في بعض المناسبات وبعض الكتب، عندما تحدثت عن فكرة ضرورة شحن الشباب المسلم للإقبال على كتاب الله -سبحانه وتعالى-، و أننا إن قدرنا على تحقيق هذا المُنجز فستنحل عنا كثير من الإشكاليات والشبهات، وسنعالج كثير من الإشكاليات المُتعلقة بالفضاء الفكري بشكلٍ عام، لكن هنا ملحظ وقضية ضروري أن يدركها الإنسان عندما نتحدث

عن قضية شحن الشباب للإقبال على القرآن الكريم، أو أن القرآن الكريم والإقبال عليه يحتل أولويةً في سلم الإنسان المسلم على حساب بقية الكتب ومنها: الكتب الفكرية بطبيعة الحال، وهو سؤال: كيف يُقرأ كتاب الله -سبحانه وتعالى- حتى يحقق العبد مثل هذا المُتطلّب من متطلّبات الهداية؟

ليس الشأن فقط في مجرد التحفيز على الإقبال على كتاب الله -سبحانه وتعالى- و إنما الشأن كذلك في ضرورة أن يكون الإنسان مُحَفَّزًا للإقبال على كتاب الله - سبحانه وتعالى- في ضوء شعورٍ إيمانيًا نفسيًا وهو مقبلٌ عليه يتطلب هدايته بالإضافة إلى بعض الأدوات التي يستطيع من خلالها أن يُثوِّر هداية القرآن؛ لأنه كما قال (عبد الله ابن مسعود) -رضي الله عنه وأرضاه-: "إِذَا أَرَدْتُمُ الْعِلْمَ؛ فَأَثِيرُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّ فِيهِ عِلْمُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخَرِينَ"، أعتقد أنه أحد المصطلحات التي من الضروري أن تكون حاضرة في نفس الإنسان المسلم وهو يُقبل على كتاب الله - سبحانه وتعالى- مصطلح (تثوير القرآن الكريم)، وأعتقد أن هذا لا يتحقق للإنسان إلا عبر استحضار جملة المعالم، أنا عاجز هنا عن ذكر تمام هذه المعالم - كما يُقال- وليس مقصودًا لي لكني أحب أن أُذَكِّرَ فقط بضرورة فهم كتاب الله - سبحانه وتعالى-، وأن العاجز عن تمام فهم كتاب الله -سبحانه وتعالى- بطبيعة الحال لن يستطيع أن يستلهم من القرآن الكريم هداياته، وهذا معنى أشار له الإمام (الطبري) -رحمة الله تبارك وتعالى عليه- في عبارةٍ له جميلة: "إنِّي لَأَعْجَبُ مِمَّن قَرَأَ الْقُرْآنَ وَلَمْ يَعْلَم تَأْوِيلَهُ -يعني تفسيره- كَيْفَ يَتَلَذَّذُ بِقِرَآتِه؟" كيف يستطيع الإنسان أن يحقق له ذلك الالتذاذ بكتاب الله -سبحانه وتعالى- وهو لا

يعرف تفسير القرآن الكريم، أنه يتعامل مع القرآن الكريم وكأنه قارئ أعجمي، فالخطوة الأولى الضرورية بعد أن يتلوَ كتاب الله -سبحانه وتعالى- ويكون مشحونًا نفسيًا بضرورة تطلب هداية النص القرآني أن يسعى إلى تعلم تفسير القرآن الكريم كخطوة الأولى، بعد ذلك من الضروري أن الإنسان المسلم فيما يتعلق ببعد القضايا الفكرية على وجه الخصوص، أن يعرض سؤالاته الفكرية على القرآن الكريم، عندما تعرض له قضية من القضايا الفكرية فمن أفضل ما يُمكن أن يطبقه الإنسان المسلم في حياته أن يجعل له ختمةً لكتاب الله -سبحانه وتعالى- يَتَطَلَّبُ من خلالها جوابات القرآن على سؤالاته الفكرية، وهذه قضية أعتقد أنَّا كثيرًا منا نغفل عنها، وكثير منَّا مُقصرٌ فيها، لا نتعامل مع القرآن باعتباره مرجعًا يستقي منه الإنسان على التحقيق الجوابات، يعني عندما يعد الإنسان بحثًا -وأنا لا أُبرئ نفسي من مثل هذا المأزق وهذا الإشكال- لا يكون تعاطي الإنسان تعاطيًا جادًا، بحيث يقرأ القرآن الكريم مُتطلِّبًا جواباته على سؤالاته البحثية، يجد أن هذه السؤالات يعرضها على من يُعَظِّمُهُ، أنا أعرضها على كتابات أئمة الدين وفقهاء الملة كما يُقال، وأرجع إلى مراجع متعددة وكثيرة جدًا، لكن يقع نوع من التقصير في عرض تلك السؤالات على كتاب الله -سبحانه وتعالى-، فأعتقد أن أحد المسارات الأساسية التي يحتاجها الإنسان ضرورة ليفكر فيها كيف يستطيع أن يعرض سؤالاته الفكرية على القرآن الكريم، مثلًا من أجمل الأبحاث التي يمكن أن يُقِيمَ الإنسان لنفسه أن يعرض سؤالاته فيما يتعلق بنظرية المعرفة -مثلًا- على القرآن الكريم، كيف يُحقق الإنسان ما يتعلق

بمصادر المعرفة والتلقي؟، كيف يحدد الإنسان القواعد الضابطة لفهم كتاب الله -عزوجل- وفهم سنة النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-؟، كيف يستطيع الإنسان أن يستخلص من القرآن الكريم منهجيةً في التفاعل مع الشبهات والإشكاليات، فأنا أعتقد أن هذه القضية كذلك من المهم ملاحظتها وإدراكها، من الأشياء كذلك -التي أذكرها- قضية النظر في سيروما حكاه الله -سبحانه وتعالى- عن الأنبياء والرسل، فالأنبياء والرسل عُرضت عليهم شبهات متعددة وكثيرة جدًا فيطالع الإنسان أولا منهجيات الرسل والأنبياء في التفاعل مع تلك الشبهات والإشكاليات والاعتراضات التي قدمها أقوامهم، ثم يطالع كذلك مُفصل الجوابات التي قَدَّمَها الأنبياء والرسل لِما يتعلق بتلك المآزق والإشكاليات، مثلًا من المجالات التي يطالعها في كتاب الله -سبحانه وتعالى- في التعزيزوالتأكيد على أهمية ألّا يكون الإنسان مشحونًا فقط بذلك البعد الإيماني في الإقبال على كتاب الله -عزوجل- بل مسلحًا بأدوات استلهام هداية النص القرآني أن ينظر في سنن الله -سبحانه وتعالى- في الخليقة، والقرآن مليء بمثل هذا الموضوع، فأعتقد أن هذه القضية مهمة، ويجب أن يستحضر الإنسان وهو يعالج ما يتعلق بهذا الملف، ويعالج ما يتعلق بهذه القضية أن المسألة ليست خاضعةً ليوم ويومان، أوشهرٍوشهران، أوسنة وسنتان، بل المسألة مسألة تستغرق حياة الإنسان هي عملية طويلة، يعني أحد جوانب الهداية المتعلقة بالنص القرآني الذي يغفل عنه كثيرمن الناس أن لتفريق تلاوة كتاب الله -سبحانه وتعالى- أثرٌفي تحقيق الثبات على الدين، أثرٌفي تحقق منسوب الهداية المطلوبة للإنسان

المسلم، مثلًا الله -سبحانه وتعالى- في القرآن الكريم، يقول: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾[الفرقان:٣٢]، الله -عزوجل يتكلم بهذه الآية القرآنية مبينًا أن أحد أوجه الحكمة في عدم إنزال القرآن الكريم على النبي -صلى الله عليه وسلم- دفعة واحدة هو تحقيق الثبات للنبي -صلى الله عليه وسلم- على الحق، والله -عزوجل- له حكمةٌ وغرضٌ في تفريق القرآن الكريم، الله -عزوجل- يقول: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾[الإسراء:١٠٦]، فهذا يعني قراءة القرآن على مكث، تفريق القرآن الكريم له أثرٌ في تطلب الهداية إلى هذا الكتاب العزيز، من المقالات التي أُشير إليها بهذا الصدد و أنصح بمطالعتها وقراءتها مقالة (تطويل الطريق) مقالة جميلة ونافعة ومهمة جدًا في هذا الصدد، وهي مختومة –الحقيقة- بعبارة شعاراتية لذيذة وجميلة جدًا ومعبرة وآسرة وتؤخذ –كما يقال- لمَّا يقول كاتب المُقالة: " أعطوني ختمة واحدة بتجرد .. أعطيكم مسلماً سنياً سلفياً حنيفاً .. ودعو عنكم خرافة الكتب الفكرية الموسعة" فلمَّا نتكلم عن (إما – أو) للكتب الفكرية أو القرآن الكريم؟ فنعم، القرآن الكريم أولًا، والقرآن الكريم ثانيًا، والقرآن الكريم ثالثًا، لكن من المهم جدًا أن يكون العبد مستحضرًا منهجية الإقبال على القرآن الكريم حتى تتحقق له مقاصد الهداية من هذا النص الكبير الجليل العظيم، وأن الأمر كما قال (عثمان) –رضي الله عنه

وأرضاه-: "لو صلحت قلوبنا لما شبعنا من كلام ربنا" مأزقنا أن حالتنا الإيمانية في الإقبال على النص القرآني قد يكون منه الباعث الإشكال لعدم استلهام هداية القرآن الكريم، أو جهلنا وعُجمةُ لساننا، أو عدم تسلُّح الإنسان بالأدوات التي يستطيع من خلالها أن يُثَوِّرَ النص القرآني الكريم، أؤكد في النهاية على ملمح حتى يؤخذ الكلام الماضي بقدرٍ ليس المقصود هو الإلغاء التام لما يتعلق بالكتب عمومًا، كتب الشريعة أو كتب الفكر، لها نفعها و إفادتها والأمر فيها -كما يُقال- أن موارد علوم الشريعة عمومًا لُبُّهَا ومركزها هو كتاب الله -عز وجل- وسنة النبي -صلى الله عليه وسلم- هو كالتحشيةِ عليها، وكتب العلماء هو كالتحشية على الوحيين، و أننا في كثيرٍ من الأحيان قد يكون عندنا قدرٌ من العجز عن الإفضاء إلى النص القرآني مباشرةً وبالتالي يحتاج الإنسان أن يُوَسِّطَ بينه وبين كتاب الله -عز وجل- وسائط ولذا يحتاج الإنسان أن ينظر في طبيعة أولئك الوسائط فكما قال (محمد بن سيرين): "إن هذا الأمر دين فانظروا عمَّن تأخذون دينكم" أؤكد كذلك أن ليس المقصود بكلامي السابق هو الإلغاء التام لأهمية -بطبيعة الحال- الكتابات الفكرية، بل إذا فهمت الثنائية بهذه الطريقة فيكون هنالك إشكال يحتاج الإنسان إلى القرآن الكريم -بطبيعة الحال- كخيار أولوي -رقم واحد- في هداية الإنسان، لكن لا يعني ذلك بالضرورة اقتصار الإنسان على هذا المورد المعرفي، لا، يحتاج أن يضم إليه سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- ويحتاج أن يضم إليه فهوم أهل العلم لهما حتى يحقق الإنسان الهداية المطلوبة المنشودة.

- هنالك حالة تأتي لبعض الناس عندما يبدأ في قراءة القرآن تأتيه هذه الشبهة: شبهة أنه يخشى أن يقرأ القرآن فيفهمه بشكلٍ خاطئ فيدخل في وعيد الله -سبحانه وتعالى- ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:١٦٩]، فما رأيكم في هذا التصور؟

- مضمون هذا السؤال يُعبرعن نزغةٍ شيطانية، وأحد أوجه الوسوسة التي يدخل بها إبليس على الناس؛ ليحرمهم لذة الالتذاذ بالقرآن الكريم والإقبال عليه، ويحرمهم السعي في تَطَلُّب تفسيره وكأن مقام الورع في الإقبال على كتاب الله -سبحانه وتعالى- يقتضي أن يحرموا أنفسهم فهم كتاب الله -عزوجل- الذي يفضي بهم إلى تلقي هداية القرآن الكريم، وهذه مسألة رصدها غيرواحد من أهل العلم (ابن هبيرة) نستحضرله عبارة جميلة يقول فيها: "إن من مكائد الشيطان تنفيرعباد الله من تدبرالقرآن؛ لعلمه أن الهدى و اقعٌ عند التدبر" فيقول: هذه مخاطرة، حتى يقول الإنسان: أنا لا أتكلم في القرآن تورعًا، فهذه إشكالية -كما يُقال- مُدركة قديمًا ومُدركٌ أنها أحد المداخل التي يدخل بها إبليس على الناس من أجل حرمانهم من هداية الكتاب العزيز، وبالتالي ليست المعالجة هو بالخضوع لمثل هذه الوسوسة أو هذا الورع البارد، و إنما أن يتفاعل الإنسان مع النص القر آني بالطريقة اللائقة به، وكما ذكرت أن هذه الإشكالية حاضرة عند غيرواحد من أهل العلم، نستحضركذلك في هذا السياق وبين يدي الآن كتيب لطيف جدًا انصح بمطالعته وقراءته، للدكتور(فريد الانصاري) –عليه رحمة الله تبارك وتعالى- وهو من الشخصيات العلمية المعتنية بكتاب الله -سبحانه

وتعالى- الذي ضَخَّ خطابًا تجديديًا في الخطاب الدعوي فيما يتعلق بالإقبال على النص القرآني، وله سلسلة مشهورة وهذا الكتيب هو أحد أفراد هذه السلسلة (من القرآن الى العمران) فهو كان مهمومًا جدًا فيما يتعلق بهذه القضية في رسالته (هذه رسالات القرآن: فمن يتلقاها!؟) ذكر في الحقيقة سؤالًا طريفًا، سؤالًا جميلًا، سؤالًا مُعبرًا عن المأزق الذي نتناوله ونتكلم عنه، يقول الشيخ -رحمة الله عليه-: " كَتَبَ أخونا سعد كلماتٍ قيمة ترجم فيها إشكالا مهمًا، أو شبهةً تَعْرُضُ لكثيرٍ من الناس حول تدبر كتاب الله ومدارسة آياته وكان فيما قال -أسعده الله-: لا شك أن من اللّافت فعلًا شدة إعراض الناس عن القرآن الكريم فأغلب الناس لا يقبلون عليه إلا مرةً في السنة أو في السنوات. ثم قال: يبدو لي أن أحد الأسباب التي تكمن وراء هذا الاإعراض هو تَهَيُّبِ الإقبال على القرآن مباشر ودون واسطة، صحيح أن من الناس من يتفادى التدبر؛ لأنه لا يعرف قيمة القرآن، ولكن هنالك أيضًا صنفٌ من المسلمين يخافون أن يُعْمِلُوا فكرهم في آيات الله وإن كان بحضور التفسير، ولأنه شيءٌ جديدٌ غير مألوف، ولأنه اجتراءٌ على الله فما هي الضوابط التي ينبغي الالتزام بها أثناء تدارس القرآن أو تدبره؟ ما الذي يضمن أن العبد لن ينجرف وراء خواطر شيطانية؟ -وهو يظنها رحمانية- وإلى أي حدٍ يمكن أن يقول برأيه في استخراج معاني القرآن وحقائقه الايمانية؟ أعتقد أن توضيح هذه النقاط مهمٌ للغاية خاصةً و أنني أعرف بعض الصالحين ممن يخافون -فعلًا- أن يتدبروا القرآن، ولقد سمعت بأذني أحدهم يقول لصديقٍ لي حين سمعه يتدبر آيةً من سورة العلق: هل تريد أن تكون مُفسرًا؟

فَوَضْعُ هذه الحدود كفيلٌ -إن شاء الله- بتشجيع الناس على الإقبال على القرآن دون خوفٍ أو وجل والسلام عليكم" وبعدها قَدَّمَ -كما يُقال- الشيخ (فريد) إجابةً ماتعةً لذيذةً، أنصح بضرورة وأهمية مراجعة هذه الرسالة، ومما أشار إليه ضرورة مراجعة كتابه الماتع الآخروالو اقع في ثلاثة أجزاء (مجالس القرآن) في الجزء الأول تكلم الشيخ كذلك عن بعض الضوابط المنهجية التي يستطيع من خلالها الإنسان أن يُحصن نفسه من الوقوع في بَلِيَّةِ القول على الله -تبارك وتعالى- بغيرعلم، ومرجع ذلك إجمالًا أن المسلم ليس عليه من بأس أن يُقبل على القرآن الكريم، وأن يسعى فيه استلهام هداية النص القرآني الكريم، لكن الذي أوصي به وأؤكد عليه ضرورة أن يمتحن فهمه وتدبره لكتاب الله -سبحانه وتعالى- بِعَرْضِهِ على كلام أهل العلم، وبحمد الله -سبحانه وتعالى- عندنا في المكتبة الشرعية كتب التفسير-كما يقال- كثيرة جدًا، بل الطريف والجميل في الموضوع أن كتب التفسيرلها مساراتها العلمية، يعني عندنا من كتب التفسيرما يعتني ببلاغة النص القرآني، منها ما يعتني بجانبه اللغوي، منها ما يعتني بحكاية أقوال المفسرين، منها ما يعتني بتفسيرالقرآن بالقرآن الكريم، منها ما يعتني بتفسير القرآن الكريم بأحاديث النبي -صلى الله عليه وسلم-، منها ما يعتني بحكاية الآثار المروية عن سلف الأمة الصالح.. الشاهد أن كتب التفسيركثيرةٌ جدًا فالخطوة التي أنصح بها في التفاعل مع كتاب الله -عزوجل- أن يقرأ القرآن الكريم متدبرًا له، متلذذًا باستلهام المعاني والإرشادات منه، لكن يتعين على الواحد منَّا بحكم سد فراغ جهله أن يَعْرُضَ هذا الرأي بعد ذلك على كلام أهل العلم ليطمئن إلى

صوابية فهمه، والعلماء والمشايخ -كما يُقال- ينبئون بإشارات متعلقة بهذا المجال، ومما أنصح به أن يكون للإنسان ختمات لبعض كتب التفسير يُعاود النظر، ويُديم النظر فيها بحيث يستطيع أن يرتقي بمعرفته وعلمه بكتاب الله -سبحانه وتعالى- بأن يخطو الخطوات الأولى في نزع العجمة عن نفسه؛ ليتمكن بعد ذلك من تثوير النص القرآني وذلك لا يستقيم للإنسان إلا إذا عَوَّدَ نفسه بمطالعته كلام المفسرين، ولي محاضرة بعنوان (مركزية القرآن في السجال الفكري المعاصر) قد تخدم فيما يتعلق بهذا المجال بتمليك طالب الهداية القرآنية شيء من أدوات استخراج هداية القرآن الكريم بما يخدم في معالجة هذه الإشكالية شيئًا ما، ومعالجة كثيرٍ من الإشكاليات المتعلقة بالسؤال السابق.

- كيف يعالج القرآن المواضيع العقلية المتعلقة بالإلحاد؟

- كلامي الحقيقة في هذا السؤال مهم جدًا، وطبيعة المعاني القرآنية لما يتعلق بمجال الشبهات والإشكاليات عمومًا، أو الشبهات المُتعلقة بالملف الإلحادي خصوصًا هو أحد الملفات الممتعة واللذيذة وهي أحد المجالات العملية التطبيقية التي يستطيع من خلالها الإنسان أن يُثَوِّرَ هداية القرآن فيما يتعلق بهذا الباب، و أُنَبّه هنا إلى جملة من القضايا والمسائل بشكل سريع:

*القضية الأولى الأساسية: ضرورة التفطن إلى طبيعة الدلالة الموجودة في كتاب الله -عزوجل- على الحق القرآن الكريم ليس مجرد نصٍ خبري، ليس مجرد نصٍ سمعي يتحقق الإنسان جواباته عبر باب الخبر والتلقي، و إنما هو مليءٌ بالدلالات العقلية، ولذا أحد التصويبات التي مارسها الإمام (ابن تيمية) وأشار إليها و أكد

عليها في طبيعة الدليل النقلي أن الدليل النقلي (دليل القرآن الكريم، ودليل السنة النبوية) ليس مقتصرًا على مجرد الدليل الخبري السمعي، وإنما الدليل الخبري السمعي هو قسمٌ من أقسام الدليل الشرعي، وأن القسم الآخر من الدليل الشرعي هو الدليل العقلي، فالدليل العقلي ليس قسيمًا للدليل الشرعي وإنما هو قسمٌ من أقسامه، الدليل الشرعي إما أن يكون:

*دليلًا خبريًا سمعيًا.

*أو دليلًا عقليًا.

فأحد الجوانب التي يحتاج الإنسان أن يتفطن منها أن هداية القرآن الكريم فيما يتعلق بهذا الباب ليس من بوابة الخبر والسمع فقط، وإنما هو مليء بأجمل وأنصع وأوضح وأقرب المدلولات العقلية المُفضية للعبد إلى تحصيل المطلوب، ولذا مثلًا عندما يُقيم الإنسان مناقشةً مع مُلحد فهو يستطيع أن يوظف الكثير من الدلالات العقلية القرآنية في نقاشه، أنا لا أستدل على المُلحد بقول الله –سبحانه وتعالى- مثلًا: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۞ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾[الطور:٣٥-٣٦]، أنا لا أستدل عليها من جهةِ أن الله -سبحانه وتعالى- قد قالها، ليس منحى الاستدلال أن الله -عز وجل- قال بحيث يعترض أنه لا يؤمن بالقرآن الكريم، وأن ملحظ الاستدلال هو الاستدلال بمضمون هذه الدلالة، المضمون العقلي، الدليل العقلي الوارد في هذه دلالة القرآنية فهي من قبيل الحق، ويستطيع الإنسان العودة مثلًا لكتاب الشيخ

(سعود العريفي) (الأدلة العقلية النقلية) فهي تخدم بشكل في هذا الباب فهذا ما يتعلق بالملحظ الاول.

***الملحظ الثاني فيما يتعلق بطبيعة النص القرآني في معالجة ما يتعلق بهذا الباب: هو حديث القرآن الكريم عمَّا أُعبر عنه بمحركات الأفكار، حديث القرآن الكريم عن طبيعة النفس الإنسانية وبواعثها التي تحملها على تشكيل هويتها الفكرية، وهويتها العقدية، هويتها الدينية، هويتها الثقافية، القرآن الكريم مكتنزٌ بالدلائل القرآنية المُتعلقة بالفضح وكشف طبيعة الإنسان، وما الذي يجعل الإنسان يقبل على الحق، وما الذي يجعل الإنسان يُحْجِمُ عن الحق فيقع فريسة الباطل، فأحد جوانب الاحتياج للإنسان أن يُطرقها فيما يتعلق بطبيعة معالجة القرآن الكريم، فيما يتعلق بقضية الإلحاد أن القرآن الكريم ينبهنا على كثرة البواعث التي يحمل الإنسان صوب اختيارٍ، أوعقيدةٍ، أوفكرةٍ ما، وبالتالي يتفطن الإنسان إلى ضرورة أن يضع الدواء بحسب طبيعة الداء القائم الموجود، من الإشكاليات التي تقع للبعض أنه يتعامل مع كل مُلحدٍ تعاملًا واحدًا من غير أن يتفطن أن هذا المُلحد قد يكون الإشكال الذي حمله على إلحاده (إنكار وجود الله -عزوجل-) هو نوع من أنواع الأبعاد العاطفية وهذا عنده شبهة عقلية، وهذا عنده شبهة متعلقة بمجال العلوم الطبيعية التجريبية، هذا عنده إشكالية مُتعلقة بمعامل الحسد، أوبمعامل الحقد، أو معامل الكبرعلى سبيل المثال، والقرآن الكريم من يتأمل وينظر فيه يجد أنه يطرق هذه القضية طرقًا حسنًا.**

من الملحوظات كذلك المُتعلقة بطبيعة النص القرآني في معالجة ما يتعلق بهذا الباب أن القرآن الكريم لا يعمل على مجرد مسارِ البعد العقلي مثلًا عند الإنسان بل القرآن الكريم يتعامل مع الإنسان كمجموع بشري إنساني، ككيان تقوم به نوازع متعددة وكثيرة، ولذا طبيعة المعالجة القرآنية ليس مقتصرًا على أحد المناحي دون الآخر وإنما يأخذ الإنسان مجموعًا بشعوره، بفطرته، بمكامن الخير والشر الموجودة فيه، بالبعد العقلي الحاضر به والبعد الروحاني، وبالتالي هذا أحد الجوانب الجميلة في طبيعة النص القرآن الذي ينبغي أن يكون حاضرًا في خطابنا الدعوي بشكل عام، أن لا يعالج الإنسان ما يتعلق بهذا الملف معالجةً في ضوء مسارٍ أُحادي واحد، وإنما يسعى الإنسان قدروسعه وطاقته أن يُفَعِّلَ الأمر في ضوء المسارات المتعددة بتعدد طبيعة الإنسان وتعدد خياراته.

من القضايا التي أُشيرلها كذلك ما يتعلق بقصص الأنبياء والرسل وكيف تفاعلوا مع كثيرمن الشبهات والإشكاليات الواردة عليهم –طبعًا- لست بصدد ذكرما يتعلق بالمعالجة التفصيلية التي يجدها الإنسان في القرآن الكريم مما يستطيع أن يستلهمه، وينتفع به، ويستفيد في معالجة كثيرٍمن الشبهات المتعلقة بالملف الإلحادي، يعني كمسارسريع فقط عندك مثلًا المسارات الأساسية الواردة في كتاب الله -عزوجل- إحياء نزعة عبودية التفكر، وكيف يستطيع الإنسان أن يخترق عبرعبودية التفكرما يتعلق بالمعرفة بالله -سبحانه وتعالى-، وكمالاته -تبارك وتعالى-، وأوجه عظمته -سبحانه وتعالى- في علمه، وقدرته، وحكمته -جل وعلا- وعدله.. وغيرذلك من كمالاته، عندنا مثلًا قضية موقع

الآخرة في حياتنا، مجرد النظر للدنيا عبر بوابة الآخرة، ومعرفة أن الدنيا دار ممر وليست دار مقرٍ، وأن مما يستصحب الإنسان المسلم في رؤيته الكونية هو استصحاب هذا البعد الأخروي هذا يحل عندنا مأزق وإشكال عريض في ملفاتٍ كثيرةٍ جدًا ومنها ما يتعلق بالملف الإلحادي، بعض الملاحدة يورد عليك إشكاليات في ضوء تصورٍ كوني لا يستصحب الإيمان بوجود الآخرة في حين مجرد ما تستحضر هذا البعد، وتأكيد القرآن الكريم يعني كُبريات العقائد الدينية الإسلامية تؤول في حقيقة الأمر إلى <u>قضيتين مركزيتين كبيرتين يكثر التذكير فيهما في كتاب الله -عز وجل-:</u>

* الإيمان بالله -سبحانه وتعالى-.

* والإيمان باليوم الآخر.

الإيمان بشأن المعاد الأخروي؛ وما هذا إلا لأنه بوصلة تضبط مسار حياة الإنسان المسلم بطريقةٍ لا يضبطها تصور آخر ما يتعلق بشأن المعاد الأخروي، عندنا مثلًا قضية الكلام حول الحكمة الإلهية، وعلم الله -سبحانه وتعالى-، وجهالة الإنسان على سبيل المثال.. وغيرها من الدلالة التفصيلية، يعني أحد أكبر الإشكاليات المُتعلقة بملف الإلحاد مشكلة الشر ووجود الله -سبحانه وتعالى-، مآل الجواب فيما يتعلق بهذه القضية ونهاية المطاف في هذه القضية هو ضرورة الاعتراف بعجز الإنسان عن إدراك كمال الحكمة الإلهية فيما يُقَدِّرُهُ الله -سبحانه وتعالى- وأن الأمر أن الله -عز وجل- ﴿يَعلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعلَمُونَ﴾[البقرة:٢١٦]، ولذا ﴿لَا يُسْأَلُ

عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[الأنبياء:٢٣] قول الله -سبحانه وتعالى-، عندنا مثلًا قصة (الخضر) -عليه الصلاة والسلام- مع (موسى) -عليه الصلاة والسلام- وإذا نظر الإنسان في هذه القصة يجدها كالتطبيق العملي والتمثيل لقصور العقل البشري عن إدراك وجه الحكمة الإلهية، مثلًا لو تدبر الإنسان قول الله -سبحانه وتعالى- ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾[الشورى:٢٧]، هذا يحل عن الإنسان المسلم إشكاليات متعددة مُتعلقة في قضية (أدعو الله -عز وجل- فلا يستجيب لي، لماذا يُقَدِّرُ الله -عز وجل- علي هذا؟ لماذا قَدَّرَ الله -عز وجل- هذا النقص في الرزق لأقوام دون أقوام؟.. وهكذا) لو تدبر الإنسان في مثل هذا المدلول القرآني لوقف على معطيات متعددة متعلقة بهذا الباب، أختم بما ختمت به كتابي (ميليشيا الإلحاد) ذكرت التوصيات في آخر الكتاب لتطوير كفاءة الخطاب العقدي لمجابهة إشكالية الإلحاد نصصت على أهمية شحن الخطاب الدعوي بما يتعلق بالقرآن الكريم، والإقبال على القرآن الكريم.. وغير ذلك، ونَبَّهْت أننا حتى على مستوى الإيماني، على مستوى الشعوري، على المستوى النفسي عندما أخرج من محاورة مناقشة في قضيةٍ متعلقةٍ بالإلحاد مع مجموعة متأثرة بهذا الخطاب أن مما يعيد حالة السكينة الروحية النفسية هو الإقبال على كتاب الله -عز وجل- وتدبر شيءٍ من دلالة القرآن الكريم فيما يتعلق بمثل هذه الملفات لن أذكر الآيات التي ذكرتها في الكتاب يستطيع الإنسان العودة إليها و إنما هذا من قبيل تَطَلُّبِ

الاختصار، وإلَّا فقد أشرت إلى بعض الآيات القرآنية التي تُحقق للإنسان نوعِ من أنواع السكينة والطمأنينة فيما يتعلق بهذا الباب، وليتدبر الإنسان مثل تلك الدلالات القرآنية في ضوء الملف الإلحادي، الذي يستعرض تلك الآيات التي ختمت بها ذلك المبحث في كتاب (الميليشيا الإلحاد) مستحضرًا صورة المُلحد في ذهنه أنا أضمن أنه سيكون للإنسان المسلم هدايةٌ لم تكن حاضرةً متحققةً له، وزاويةُ نظر قد يكون غافلًا عنها أسأل الله -عز وجل- أن يكون فيما ذُكِر نفعٌ و إفادة، وكل الشكر والامتنان على إتاحة هذه الفرصة.

- بارك الله فيك شيخنا أسعدك الله ومَتَّعَنَا بعلمك ونحن والله ممتنين جدًا لإعطائنا من وقتك الطيب للإجابة على هذه الأسئلة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.